العلاقات التركيبية في الفضلات

ترتبط الفضلة بالمركب الإسنادي بوساطة روابط لفظية ومعنوية بحسب نوع تلك الفضلة؛ لأنّها لا تدخل في عملية الإسناد مباشرة. وتلك الروابط له أساس واقعي تقوم عليه. ويمكن الإشارة إلى عدد من الروابط الدلالية فيما يأتي :

١ـ المفعول معه :

يرتبط هذا المفهوم في وجوده اللفظي أي أمثلته في الاستعمال بالجملة عن طريق واو المعية، ومعنى المصاحبة والمشاركة للفاعل في فعله. جاء في (شرح الرضي على الكافية : ١/٥١٥).

قوله : « لمصاحبة معمول فعل » ، احتراز عن نحو « ضيعتـه » في : كل رجل وضيعتـه ، فانها مصـاحبة لكل رجل[١] ، لأن الواو بمعنى « مع » ، ويعني بالمصاحبة كونه مشاركاً لذلك المعمول في ذلك الفعل في وقت واحد ، فزيد ، في : سرت وزيداً ، مشارك للمتكلم في السير في وقت واحد ، أي وقع سيرهما معاً ، وفي قولك : سرت أنا وزيد ، بالعطف ، ، يشاركه بالعطف في السير ، لكن لا يلزم كون السَّيْرَيْن في وقت واحد .

فالفعل سار قام به المتكلّم مباشرة؛ فاستحقّ الفاعل الإسناد إليه. فأخبر المتكلّم عن قيامه بالسير. واشترك معه في السير على جهة المصاحبة. فهناك اتّحاد في الفعل واتّحاد في الزمن. بخلاف الواو العاطفة التي تفيد الاشتراك في الفعل فقط . قال ابن يعيش في (شرح المفصل : ١/٤٤١) :

قيل: الفرق بين العطف بالواو وهذا الباب أنّ الواو التي للعطف تُوجِب الاشتراكَ في الفعل، وليس كذلك الواوُ التي بمعنى «مَعَ»؛ لأنّها توجب المصاحبةَ. فإذا عطفتَ بالواو شيئاً على شيء، دخل في معناه، ولا تُوجِبُ بين المعطوف والمعطوف إليه ملابسةً ومقارنةً، كقولك: «قام زيدٌ وعمرٌو»، فليس أحدُهما مُلابِسًا للآخر، ولا مُصاحِبًا له. وإذا قلت: «ما صنعتَ وأباك»، فإنّما تريد: ما صنعت مع أبيك، وأَيْنَ بلغتَ فيما فعلتَه، وفَعَلَ بك. وإذا قلت: «استوى الماء والخشبة»، و«ما زِلتُ أسيرُ والنيلَ»، يُفهَم منه المصاحبةُ والمقارنةُ، فأمّا قول الشاعر [من الوافر]:

٢ـ الحال :

يتّحد الحال مع الفاعل أو المفعول في الجملة في كونه وصفًا يُبيّن هيأتهما. فتارة توجد وحدة في وجود الفاعل، مثل : عاد الأخ مبتسمًا. فالأخ هو المبتسم في المعنى والخارج، لكن الحال يكشف الوضع الذي عليه الأخ عند عودته. وقيل في

وحدة الحال والفاعل الذي يُسند إليه فعل لازم (شرح المفصل : ٤/٢) : إنّ الحال تختلف عن المفعول به، وهي

ليست مفعولةً كـ «ضَرَبَ زيدٌ عمرًا». وممّا يدلّ أنّها ليست مفعولةً أنّها هي الفاعلُ في المعنى، وليست غيرَه، فـ «الراكبُ» في «جاء زيدٌ راكبًا» هو زيدٌ. وليس المفعولُ كذلك بل

وتارة توجد وحدة في وجود المفعول به ، مثل : ساعدتُ الرجل فقيرًا. فالرجل هو الفقير في المعنى والوجود. والحال يُبيّن هيأة الرجل عند قيام المتكلّم بمساعدته. وكلتا الوحدتين قد تجتمعان معًا في : نظر محمدٌ إلى أخيه جالسين. فهما قد اشتركا في وصف واحد يوضّح حالهما عند قيام محمد بالنظر. وكذلك الحال يشترك مع الفاعل والمفعول في زمن الفعل. وقد ذكر ابن جني الوحدة بين الحال وصاحبها سواء أكان فاعلاً أو مفعولًا(اللمع ـ ابن جني : ٥٣) :

الحال وصف هيئة الفاعل، أو المفعول به. ولفظها نكرة، تأتي بعد معرفة، قد تم عليها الكلام، وتلك النكرة هي المعرفة في المعنى.

٣ـ التمييز :

هذا الاسم المميِّز يدلّ على جنس المميَّز أو نوعه. وتقع بينهما وحدة دلالية، ترجع إلى وجود واحد. في قولك : هؤلاء ثلاثون رجلًا. فإنّ العدد يدلّ على أشياء معدودة، هي نفسها الرجال الدالّ عليهم برجلاً؛ لأنّ الاسم النكرة يفيد العموم، وهو النوع. ومن خصائص المميَّز يصلح للانطباق على أجناس أو أنواع كثيرة. فيُستعمل المميِّز؛ لتبيين النوع الذي يندرج تحته المميَّز. وقد أشار ابن جني إلى وظيفة المميِّز البيانية بقوله(اللمع : ٥٣) :

ومعنى التمييز تخليص الأجناس بعضها من بعض، ولفظ المميِّز اسم نكرة يأتي بعد الكلام التام يراد به تبيين الجنس، وأكثر ما يأتي بعد الأعداد والمقاديرِ فالأعداد من أحَدَ عَشَرَ الى تسعة وتسعين كقولك[٢]: عندي أحدَ عشرَ رجلًا، واثنا عشرَ غلاماً، وثلاثون جارية، وخمسون درهماً.

وبيّن ابن يعيش(شرح المفصل : ٣٦/٢)الإبهام الذي يتصف به المميَّز؛ لاحتمالاته الكثيرة. فإذا قلت : زاد المجتمع. علم السامع أنّ هناك غموضًا في نسبة الزيادة إلى المجتمع. فيحتمل : زاد المجتمع مالًا أو فقرًا أو وعيًا أو جهلًا أو ... فإنْ قلت : زاد المجتمع ثقافةً. ارتفع الغموض، وتجلّى نوع الزيادة. ولا ريب في أنّ الثقافة من صفات التي يتحلّى بها أفراد ذلك المجتمع. فمعنى المميِّز منسجم مع معنى المجتمع؛ لأنّهما صفة وموصوف. وهما متحدان في الخارج في الأفراد. وللمميِّز نسبة وإسناد مطوي في المركب، يظهر في التركيب الإسنادي : زادت ثقافةُ المجتمع. فالزيادة منسوبة إلى الثقافة لا للمجتمع في الأصل.

وأمّا المفرد، فنحو قولك: «عندي راقودٌ خَلًّا، ورَطْلٌ زَيْتًا، ومَنَوان سَمْنًا» فالتمييز في هذه الأشياء لم يأت لرفع إبهام في الجملة، وإنّما لبيانِ نوعِ الراقود، إذ الإبهامُ وقع فيه وحدَه لاحتماله أشياءَ كثيرةً كالخَلّ والخَمْر والعَسَل، وغيرِ ذلك، ممّا نوعيٌّ، والراقودُ وعاءٌ كالحُبّ.

٤ـ التوكيد :

عرّفه ابن جماعة في (شرحه على الكافية ص١٨٦)بقوله : "تابع يقرر أمر متبوعه في النسبة أو الشمول" يُفهم من التعريف أنّ التوكيد يرتبط بالمتبوع(المؤكَّد) بوظيفة تقرير المتبوع، وتقويته في النسبة(الإسناد)، وتعزيز الشمول والعموم. وهذه الوظيفة هي معنى نحوية متأتٍ من العلاقة القوية بينهما. ويمكن إيضاحها بما يأتي :

ـ التوكيد اللفظي يتّحد مع التابع باللفظ والمعنى والمرجع الخارجي. تقول : محمد محمد أخوك.

ـ التوكيد المعنوي :

١ـ التوكيد بنفس وعين. يوجد اتحاد في المعنى والمرجع الخارجي. يقال : تكلّم الخطيب نفسه. واستمع الرجل عينه. وهذا التأكيد (يقرر أمر متبوعه في النسبة) أي فائدته تقرير الفاعل، وتوكيده. فالفعل تكلّم منسوب في الجملة إلى الخطيب دون غيره. وإذا قيل : تكلّم الخطيب. يحتمل نسبة الفعل إلى غيره كصديقه أو أخيه أو غيرهما.

٢ـ التوكيد بجميع وكل وعامة وغيرها. يوجد اتحاد في المعنى والمرجع الخارجي. ويفيد الشمول والعموم. في قولك : حضر العلماء كلُّهم. كلهم يشمل العلماء، فيدفع احتمال التبعيض الذي يرد في قولك : حضر العلماء. إذ يحتمل حضر قليل منهم أو كثير أو ...

٥ـ البدل :

أشار المبرد في (المقتضب :١٦٤/١) إلى العلاقة المعنوية بين البدل بالمبدل منه في قوله :

والبدل يجوز فى كلّ اسم معرفةٌ كان أو نكرةً مظهرا كان أو مضمر / إذا كان الأوّل فى المعنى أو كان بعضه .

فعندما يُحلّل المركب الذي مثله المبرد، في البدل المعرفة بكلامه :

فأمّا بدل المعرفة من المعرفة فكقولك : مررت بأخيك عبدِ الله .

يصل المحلّل إلى نتيجة هي : (أخيك) هو (عبد الله) في المعنى، والحقيقة الخارجية. والثاني أعرف من الأول. وهو المقصود في النسبة. وكشف العلاقة المعنوية بين بدل بعض من كلّ في نصه(المقتضب :١٦٥/١) :

وأمّا بدل بعض الشيء منه للتبيين[1]؟ فنحو قولك : ضربت زيدا رأسَه وجاءنى قومك بعضُهم أراد أن يبيّن الموضع الذى وقع الضرب به منه ، وأن يُعْلمك أنّ بعض/ القوم جاء

وهي أنّ البدل جزء من المبدل منه؛ إذ الرأس جزء من جسم زيد في الخارج. ومعنى زيد يتضمن معنى الرأس. وبعض القوم معنى متضمن في لفظ القوم. وهم من القوم في الواقع.

٦ـ عطف النسق :

"تابع مقصود بالنسبة مع متبوعه يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة ... مثل : قام زيد وعمرو" (شرح الكافية لابن جماعة ص١٨٢).

يوّحد بين المعطوف والمطوف عليه أمور : الاشتراك في نسبة الفعل، من غير مصاحبة. وتعكس هذه المشاركة أنّ الأشياء التي تدلّ عليها الألفاظ(التابع والمتبوع)في عطف النسق تقوم بفعل واحد، وليس في زمان واحد. إنّ قيام زيد ليس في وقت قيام عمرو. فقد يكون الأول هو السابق في القيام أو الثاني. وفي : (قام زيد ثم عمرو) قيام زيد أسبق من قيام عمرو.

٧ـ النعت :

عرّفه ابن جني قائلًا (اللمع : ٦٥):

اعلم أنَّ الوصف لفظ يتبع الأسم الموصوف تحليةً له، وتخصيصاً ممّن له مثل اسمه بذكر معنى في الموصُوف، أو في شيء من سببه. ولا يكون الوصف إلا من فعل، او راجعا الى معنى فعل. والمعرفة توصف بالمعرفة، والنكرة توصف بالنكرة. ولا توصف معرفة بنكرة، ولا نكرة بمعرفة.

يُفهم منه أنّ النعت(الوصف) لفظ يشمل المفرد والجملة. يتصل بموصوف. بينهما علاقة معنوية؛ إذ يدلّ النعت على معنى في المنعوت. وذلك المعنى يتحلّى به الموصوف. نحو : قدم محمد الكريم. فصفة الكرم معنى موجود في محمد. متصف به، ومتحدّ بنفسه. أو تقول : قدم محمد الكريم أبوه. فالكرم صفة لمحمد في الوظيفة النحوية. وصفة واقعية لأبيه. ولوجود علاقة بينه، وبين أبيه ارتبط النعت به.